

## العربية اللاتينية

قرأت اقتراح صاحب المعالي عبد العزيز فهمي باشا وهو يدور على رسم الكتابة العربية بالحروف اللاتينية ، واذا كنت أكتب في هذا المقال شعوري بعد قراءة هذا الاقتراح فاني غير كاتمٍ خواطر خطرت ببالي بعد مطالعتي اياه .  
إني أدرس الفرنسية من أربعين سنة ، ولم أفطن الى المصاعب التي تشتمل عليها هذه اللغة إلا بعد قراءة الاقتراح ، لقد كنت أتملى سهل اللغة الفرنسية وأغفل عن وعمرها ، أما الآن فقد فطنت الى ناحية واحدة من هذا العصر ، قلت في نفسي : هل تخلو الفرنسية من مصاعب ، وهل فكر رجالها في قلب وجهها حتى يبدلوا هذه المصاعب .  
رجعت الى مقالٍ احتفظت به في جملة دفاتري ، نشر هذا المقال من ست سنين في صدر صحيفة من أمهات صحف باريز وهي «ماريان» عنوان هذا المقال :  
إصلاح الإملاء .

من ست سنين فكر بعض الفرنسيين في إصلاح قواعد الإملاء ، وفي أواخر القرن الماضي ظهر مثل هذا التفكير ، ولكنهم في تلك السنين أهملوا « الأكاديمية » ولم يشركوها في الإصلاح وقد اكتفوا بأخذ رأيها بعد الفراغ من العمل .  
لم يبقوا من ست سنين في هذا الخطأ فقد اشتركت « الأكاديمية » في موضوع إصلاح الاملاء .

كل هذا غير ذي بال ، وإنما المهم في الأمر ان الفرنسيين يشعرون بأن لغتهم تشتمل على مصاعب ، من ألقاظهم لفظة : dompter ومن معاني هذه المادة : غلب واستولى وأخضع ، تكتب هذه اللفظة بصورة وتلفظ بصورة ، فاذا لفظوها استغنوا عن حرف منها وهو : p فلم يلفظوه ، فقد قالوا : ماذا يصنع هذا الحرف في اللفظة ، ولماذا لا نطرحه ، ومن هذا القبيل لفظة poids ومعناها : الوزن ، فهي مثل اختها السابقة ، انها تشتمل على حرف يكتب ولا يلفظ وهو : d ، فقد قالوا : ماذا يصنع هذا الحرف في اللفظة ، ثم توسعوا في هذا الموضوع فقالوا : لماذا لا نحذف

حرف : x وهو علامة بعض الجموع ونجعل بدلاً منه حرف : s ، وعلى هذا الشكل تكتب لفظة : Chevaux ومعناها : الخُصن ، على الصور الآتية : Chevaus ، ثم قالوا لماذا نكتب : Charrette وهي عجلة من العجل ولكن لا يجرها الثور برائين ونكتب : Chariot وهي نوع آخر من العجل براءً واحدة ، ولماذا نكتب : il appelle ومعناها : يدعو ، بلامين ونكتب : il épèle ومعناها : يهجي ، بلام واحدة ، ولماذا نلفظ : portions على صورتين مختلفتين في العبارة الآتية Nous portions des portions ، ففي اللفظة الأولى نلفظ التاء على وضعها ، وفي اللفظة الثانية تقلب التاء سيناً .

والشواهد على هذه المصاعب كثيرة ، ولقد كنت أقرأ الفرنسية من أربعين سنة ولم تقع في خلدي هذه المصاعب أما الآن فلا أكد أمر بسطر وأحدٍ من دون ان أجد فيه ملاحظات شتى ، اني أمرٌ بالفاظ مشحونة أواخرها بحروف تكتب ولا تلفظ مثل : délicieux أو soucieux ومثل : sans فهذه الحروف x و s لا تلفظ فيها ، ثم أمرٌ بالفاظ يتشابه لفظها وتختلف كتابتها فهذه لفظة : cent ومعناها : مائة ، ولفظة : sang ومعناها : دم ولفظة : je sens ومعناها : أشعر وأشباه هذه الألفاظ . فكيف كان عمل رجال اللغة الفرنسية لما عرض عليهم مثل هذا الاصلاح . في اللغة الفرنسية لفظة : scintillation ومعناها : اللعان ، من جملة حروف هذه اللفظة في أوائلها حرف s و c فاذا أصلحت قواعد املائها وجب عليهم الاستغناء عن الحرف الأول وهو : s ثم من جملة حروفها اللامان قبل أواخرها ، ففي قواعد الاصلاح تسقط من اللامين لام واحدة فتصبح كتابة هذه اللفظة على الشكل الآتي cintilation ، قال « برونثير » والذين درسوا الأدب الفرنسي يعرفون منزلة هذا الرجل : اذا كتبوا cintilation ولم يكتبوا : scintillation ذهب لمعان النجوم . ومن هذا النمط كلمة لشاعرهم « هوغو » في اللغة الفرنسية لفظة من الألفاظ تدل على نوع من الزهر وهي : asphodèle فاذا أصلحت قاعدة املائها كتبت على الشكل الآتي : asfodèle فقال « هوغو » لو كتبت هذه اللفظة على الشكل الثاني لذهبت رائحتها الطيبة !

المهم في هذا كله ان نعرف كيف قوبل مشروع إصلاح الإملاء من قبل الفرنسيين ، فقد شعر القوم بأن لغتهم تصبح فوضى بعد هذا الإصلاح وقالوا : كيف تصبح معاجم لغتنا القديمة اذا تمّ الإصلاح الحديث ! ويظهر انهم أحبوا ان يلبوا بفكرة مثل هذه الفكرة ثم أحسوا بعواقب هذا اللهو فكفوا عنه ، فاللغة الفرنسية على جلاله قدرها لا تخلو من كثير من المصاعب ، سواء أكانت هذه المصاعب في قواعد املائها أم في تصريف بعض أفعالها الشاذة أم في غير ذلك ، ولكن رجالها رأوا ان احتمال هذه المصاعب خير من ان تصبح لغتهم فوضى وخير من ان تقطع صلة الحاضر بالماضي فأغلقوا باب الإصلاح .

أغلق هذا الباب في باريس وفتح باب مثله أو أوسع منه في القاهرة ، انه باب يؤدي الى ضياع أمة بجذافيرها ، ما ذا بقي للعرب من جليل فتوحاتهم وعظيم سلطانهم ، لم يبق لهم من هذا كله الا لغتهم وحدها ، فاذا مسخ وجه هذه اللغة مسخ ماضي العرب بأجمعه !

قد يكون في هذا الكلام شيء من العاطفة وقد تكون العاطفة في أمور الإصلاح نائية ، لا محل لها ، والمنطق وحده انما هو الحكم ، فلنرجع الى المنطق ، فاذا يكون مصير طائفة من الحروف العربية في الرسم الجديد ، ما ذا يكون مصير الصاد والضاد والقاف وغيرها ونحن نعلم ان كثيراً من أجراس الحروف يضاها على نحو ما قرره ابن جني أصوات الأفعال التي عبر بها عنها ، فهم يقولون : قضم في اليابس وخضم في الرطب وذلك لقوة القاف وضعف الخاء ، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى والصوت الأضعف للفعل الأضعف ، ولكن صاحب الاقتراح يقول : سنرسم هذه الحروف بإشارة خاصة ، سنترك هذه الحروف على وضعها ، فاذا رضينا بهذا المزج المشوه فكيف نصنع بقواعد التجويد ، كيف نستطيع إعطاء كل حرف حقه من مخرج وصفة فاذا كتبنا : ماله أخلده بالحروف اللاتينية فهل تساعدنا هذه الحروف على ان نمد هاء الضمير باللاتينية مدتنا لها بالعربية ، لاشك في ان الحروف اللاتينية تقضي على أصول التجويد .

لقد اعترض صاحب الاقتراح على اشتغال بعض الأفعال على جملة مصادر أو اشتغال أصل واحد من الأسماء على تسعة أسماء ، مثل انثى الأسد .

من مصادر بات : بيت وبيات وبيتوتة ومبات ومبيت ، ولكن قوانين تنازع البقاء والانتخاب الطبيعي وغيرها تعمل في اللغة عملها في الطبيعة ، فهي تميت ما يجب موته ، وتسبقي ما يجب بقاؤه ، وما أظن ان الكاتب في هذا العصر يلجأ الى استعمال بيتوتة او بيت او بيات ويفر من استعمال مبيت ، فالطبيعة تسبقي من هذه المصادر ما يسهل لفظه ، اما المصادر المهملة فانها تدفن في كتب اللغة ولا يبحث عنها الا علماء اللغة وحدهم وليس من الضروري ان يكون كل كاتب عالم لغة .

وكذلك القول في أسماء انثى الأسد ، فأني كاتب في هذا العصر يستعمل لبأة أو لبأة ويطرح ماشاع من هذه الأسماء مثل لبوة أو لبوة ، فقوانين الطبيعة تحي من هذه الأسماء اسماً أو اسمين ونبقي الاسماء الباقية في بطون كتب اللغة .

ولقد فعلت مثل هذا الفعل في كثير من مواد اللغة ، فلم يبق في كتاباتنا للأسد أو للسيف تلك الأسماء التي كانت لها في الماضي ، وإنما بقيت لها الأسماء السهلة .

هذه مصاعب تذللها الأيام ، لأن قوانين الطبيعة تجري أحكامها على اللغة جزئياً على المخلوقات وانا اعتقد ان السهولة التي بتوخاها صاحب الاقتراح قد نصل اليها من طريق اصلاح أساليب التعليم في المدارس ، ولو قابلنا بين أصول تدريس اللغة في المدارس من ثلاثين او اربعين سنة وبين أصول تدريسها في هذه الأيام رأينا فرقاً واضحاً بين هذه الأصول ، وشيء قليل من تجويد هذه الاصول يذهب بكثير من المصاعب في الآتي ، اما ان تخلو لغة من اللغات الحية من قليل او من كثير من المصاعب فهذا امر متعذر ، ولم يجرؤ أهل هذه اللغات على قلب لغتهم رأساً على عقب تذليلاً لهذه المصاعب .

سفيان جبري

—••••—